المكتبة الحديثة للأطفال

القلم الذهبي الجديد

وقصص أخرى

بقلم

محمد عطية الابراشي

الطبعة التاسعة

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين ، والصلاةُ والسلامُ على أشرف المرسَلين ، سيدِنا محمد وعلى آلِه وصحبِه أجمعين . (وبعدُ) ؛ فيسرُّنى أن أقدم للنشء : « المكتبة الحديثة للأطفال » وهى صفوةٌ من القصصِ الشرقيةِ والغربيةِ ، راعيتُ فيها ميولَ الأطفالِ ورَغباتِهم ، وتفكيرَهم وخيالَهم.

وحِرْصاً منى على أن أضعَ أمامَهم المثَلَ الكاملَ للحياةِ الكاملة ، فى صورةٍ ملائمةٍ للطفولةِ ومداركِها ، تجتذبُ الطفلَ وتستهويه — عانيتُ بعضَ الجهدِ فى اختيارِها ، حتى لقد كنت أقرأ الكتاب القصصىَّ فلا أتخير منه — مع كثرة قصصه — إلا قصةً واحدةً ؛ ولهذا سيجدُ أبناؤها وبناتُنا فى هذه المجموعةِ ألوانًا من القَصَصِ الخياليةِ ، والواقعيةِ ، والاجتماعيةِ ، والخلقيةِ ، والعلميةِ والأدبيةِ ، والجغرافيةِ ، والتاريخيةِ .

إن كلَّ ما فى « المكتبة الحديثة للأطفال » يتصلُ بحياةِ الطفل كلَّ الاتصال ؛ ففيها يجدُ ما يرَغِّبه فى القراءة ، ويشوقُه إلى الاستمرارِ فيها ؛ فما إن يبدأ أولَ قصةٍ حتى يَستهويَه وضوحُها ، وسهولةُ لغتِها ، وجمال أسلوبِها ، وحرصُها على المُثُلِ العليا فى النواحى الخلقية والاجتماعيةِ

والعاطفية : فيمضيَ إلى نهايتِها ، ومن هذهِ إلى تلك حتى ينتهيَ منها مشتاقًا إلى مُعاوَدَةِ قراءتِها .

وَقَدْ راعيتُ فيها سهولةَ اللغةِ ، وجمالَ الأسلوبِ ، وشرحتُ من الكلمات اللغوية ما صَعُب ، وَوَضَّحتُ بعضَ القصصِ بصورٍ واضحةٍ ؛ لتكونَ عونًا على فهمِ هذه القصصِ ، وليكتسبَ منها الطفلُ دقةَ الملاحظة ، وجَمالَ الذوقِ .

وأعتقدُ أن الآباء والأمهاتِ ، والمدرسين والمدرساتِ ، سيجدون فى هذه المجموعةِ المنتقاةِ خيرَ ما يُهدُون إلى أبنائِهم وبناتِهم من ثروةٍ تُغذى عقلَ الطفلِ ، وتنمّى خيالَه ، وتسمُو بروحِه ، وتهذبُ وجدانَه ، وتربّى حواسَّه ، ويجد فى قراءتِها لَذةً وسرورًا يشعرُ بهما الكبارُ أنفُسهم حينَ يقرءونَها .

وأرجو أن أكون بهذهِ « المكتبةِ » قد قمتُ بواجبى نحوَ الْجيل الْجديدِ فى هذا العهد السعيد ، فى جمهورية مصر العربية ، والشرقِ العربىِّ .

أسأل الله التوفيقَ ، وتحقيقَ الآمال ، إنه سميعٌ مُجيب .

محمد عطيه الإبراشى

القِصَّةُ الأُولَى

القَلَمُ الذهبيُّ الجديدُ

فى يَومٍ من الأَيامِ أَهْدى الأَبُ إلى ابنهِ نبيلٍ فى عيدِ ميلادِه هَديَّةً جميلةً ، هى قلمٌ ذَهبيٌّ من الرَّصاصِ. وكان نبيلٌ يُعجَبُ بقلمِه ، ويفْخَرُ به ؛ لأَنه أُهْدِىَ إليه من أَبيه فى مُناسَبَةٍ خاصَّةٍ ، هىَ عيدُ ميلادِه . وَلم يَكُنْ عِند أَحدٍ من فصلهِ فى المدرسَةِ قلمٌ ذهبيٌّ مثلُه ؛ فكان هُوَ الوحيد الذى عِندَهُ قلمٌ جديدٌ جَميلٌ من الذَّهب ، وَلا عَجبَ ؛فجميعُ زُملائِه من التلاميذِ عندَهم أَقلامٌ خَشبِيَّةٌ عادِيَّةٌ من الرَّصاص ؛ لاستِعمالها فى المدرسةِ.

كان قلمُ نَبيلٍ من النَّوعِ الذَهَبِيِّ البرَّاقِ اللَّامعِ الجميل . فإِذا أَدَرتَ الطَّرَفَ الأَسفَلَ من القلمِ بإِصبَعيْكَ ظهَرت الرَّصاصةُ فى الطرَف الثانى من القلمِ

وبمَخْزَنه يوضَع عددٌ كبيرٌ من الرَّصاصات ؛ لاستعمال واحدةٍ منها حينما تنتهى الرَّصاصةُ الَّتى تُسْتعمَلُ فى القلمِ . وبه أَيضاً مِمحاةٌ (أَستيكةٌ) صغيرةٌ لإزالة الكتابةِ بالْحِبرِ أَوِ الرَّصاص . فهو فى الحقيقة قلمٌ مَتين وجميلٌ ، وهَديَّةٌ نافعةٌ يَستَحِقُّها نبيلٌ لذكائِه وأَدبِه ، ونجَاحِه وتقَدُّمِه عَلَى الدوامِ فى ترتيبِه ، واحْتفاظِه بالأَوَّليَّةِ فى فِرقتِه ، وحُبِّ أَبَوَيه وإِخوتِه وأَساتذتِه ورُفقائِه لهُ .

وَقد اعتَاد المُعلِّمون أَن يَسْتَلفوا القلمَ من نبيلٍ للكتابةِ به فى الفَصْلِ عِند الضرورةِ . وتعوَّدَ كلٌّ منهم أَن يقولَ لهُ : « أَينَ قلمُك الذهَبىُّ الجميلُ ، يا نبيلُ؟ هلْ تَسمحُ أَن تُسَلِّفَنى إِيَّاه لحظةً منْ فَضلِكَ ؟ لهذا كلِّه يُمكِنُك أَن تُدرِكَ أَن نبيلًا كان يحِبُّ قلَمَهُ الذهبىَّ كَثِيرًا ، وَيعتزُّ ويفْخَرُ بهِ ،ويَحرِصُ علَيه كل الحِرص ،ويهتَم بالمحافظَةِ عليهِ ؛ خَوفاً من ضَيَاعِه وفَقْدِه.

وفى يَومِ العُطلةِ الأُسْبوعيةِ كان نَبيلٌ فى حَديقةِ

نبيل يمسك بقلمه الذهبي ، وهو فرح به

البيْت جالساً عَلَى كرْسىّ ، يَرسُمُ بقلَمِه الذهَبىِّ الجميلِ ، فى كراسَةِ الرَّسمِ ، مَنظرًا مِن المنَاظرِ الَّتى كلَّفهُ المدرِّسُ أَن يقومَ برسْمِها فى المنزلِ . وفى الوقتِ الذى كان يَرسُم فيهِ أَرسَلتْ إليهِ أُمُّهُ ليَلبَسَ ويُجَرِّبَ حُلَّتَهُ الصُّوفيَّةَ الجديدَة ، وتَراهَا وهُو لابسٌ لها ، فترك كرَّاسَةَ الرَّسمِ عَلَى مِنْضَدَةِ الْحَديقةِ ، ووَضعَ القلمَ الجديدَ فوقَ الكُراسةِ ،حتى يرجعَ ويـأْخُذَه ، وذهَب إلى والدتِه داخلَ البيْتِ لتَجْرِبةِ الْحُلَّةِ (البَدْلة) ،ولُبْسِها أَمامَهَا.

وبَعدَ أَنِ انْتهى مِن تَجربةِ الْحُلَّةِ رجَع إلى الحديقة لتَكْملَةِ الواجبِ فى الرَّسمِ ، ولكنْ مَع الأَسَفِ الشديدِ لم يَجدْ قلمَه الذَّهَبىَّ الجميلَ على الكُرّاسَةِ فوْقَ المِنْضَدةِ ، كما تَركه . فظَنَّ أَنه وَقعَ على أَرضِ الحديقة ، وأَخَذ يَبْحَثُ عَنه تحتَ المِنْضَدةِ ، وحَوْلها مِن كلِّ جانبٍ ، ولكنَّه لم يجدْ له أَثرًا مُطلَقاً ؛ فعجِب كلَّ العَجَب ، وَاسْتغرَبَ كَثيرًا ،

وَحارَ فى أَمرِه كلَّ الحيْرةِ . وكَرَّرَ البَحْثَ مِرَارًا فى كلِّ مكانٍ حَولَ المِنْضَدةِ الَّتِى كان يرسُم عَليْهَا ، وقدْ بحثَ فوْقَهَا ، وتحتَهَا ، وَقلَّبَ الكُرَّاسَةَ ورقة ورقةً وهُو يَبحثُ عنْه ، فلمْ يَجدْ لقَلمِه الجَديدِ أَثرًا .

وَفى النِّهايةِ ترَكَ البَحْثَ ؛ لأَنه لم يَجدْ مِنْهُ فائِدَة . وقدْ تَأَكَّد تمامَ التَّأَكُّدِ أَنَّ القلمَ لم يَقَعْ على أَرضِ الحديقةِ ، أَو تحتَ المِنضدَة ، أَو حَوْلَها .

أَخَذ نَبيلٌ يَبحثُ فى جُيوبِه عَن القلمِ الذَّهَبِىِّ العزيزِ الذى أَهداهُ إِليه أَبوه ، فرُبَّما يكونُ قد نَسِىَ ، ووَضَعَه فى جَيْبٍ من جُيوبِه ، ولكن مَع الأَسَفِ لم يجدْهُ مُطلقاً فى أَىِّ جَيبٍ . ولَم يَجدْ إِلَّا المِنديلَ ، وَالْمِبراةَ ، وُلُعْبةَ النَّحْلة ، وخَيطاً من الْخُيوطِ ، وقطعتَيْن من قِطعِ الْحَلوى الملفوفةِ فى الورَق . وقَد تَحقَّق تماماً أَن قلمَهُ النَّفيسَ قد ضاعَ منْه . وفى ضَيَاعِه وفَقدِه خَسارة كَبيرة لأَنه جَديدٌ ، وتِذكارٌ

جميلٌ مِن أَبيهِ فى عيدِ ميلادِه الْماضى .

ذهَبَ نَبيلٌ إلى أُمِّه وهُوَ حائرٌ مُتَأَلِّم ، لا يَعرِفُ أَين ذهَب القلمُ ، ولا يَعلمُ كيفَ أُخِذ من فَوْقِ المِنضَدة ، ولا يَدرى مَن أَخَذهُ . وأَخْبرَها أَنهُ ترك قلمَه الذَّهبىَّ على المِنْضَدةِ فى الحديقةِ حِينما أَرسلَتْ إليْه ليُجَرِّبَ حُلَّتَه . ولمَّا رجَعَ لمْ يجِدْه فوْقَها . وبحَثَ عَنْه تَحتَها وَحَوْلَها فلمْ يرَ له أَثرًا .

فتأَلَّمَتْ لأَلَمِهِ ، وقالت لهُ : أَنا آسِفةٌ لاسْتماعِ هذا الخبرِ . وذهَبَتْ مَعه لتَبْحَثَ عَنْه بنفسِها . وأَخَذت تَبحثُ وتفْحَصُ عَنْه هُنَا وهُناكَ ، تَحتَ المِنضَدةِ وفَوْقَها ، وحَوْلَها بدونِ فائدةٍ .

تَأَلَّمَ نَبيلٌ كلَّ الأَلَم ، وحَزِنَ كلَّ الْحُزنِ ، لِضَياعِ هٰذا التِّذكارِ مِنْه ، مع أَنه كان حَريصاً عَليْه ، ولم يَضِعْ مِنه مِن قَبْلُ ، معَ أَنه أُهدِىَ إليه مُنذُ سِتَّةِ أَشهرٍ فى عيدِ ميلادِه الماضى .

وبَعدَ أَن اشتركَتْ مَعه أُمُّه فى البَحثِ عَنه فى كلِّ مكانٍ بالحديقَةِ ، ولَم ترَ لهُ أَثرًا ، قالتْ لابنِها : أَيها الابنُ العزيزُ ، لقدْ ضاع القلمُ وفُقِدَ ، ولا فائدةَ مِن الحزْن ؛ لأَنه لَنْ يُعيدَه إليْك . فلا تَحْزَنْ ، ولا تتَأَلَّمْ . ثمَّ سَأَلَتهُ : هَل دَخَل أَحَد الحديقةَ فى الوقتِ الذى جِئتَ فيه إلى المَنزلِ لتُجَرِّبَ حُلَّتَكَ ؟

فأَجابَ نَبيلٌ : سأَسْأَلُ البُستَانِىَّ والطَّباخَ يا أُمِّى ، ثمَّ أجيبُكِ .

ذَهَب نَبيلٌ إلى البُستانىِّ وسأَلهُ : هَلْ دَخَلَ أَحَد غَريبٌ أَو أَجنبِىٌّ الحديقةَ اليومَ ؟

فَأَجابهُ : لا ، لَمْ يَدخُلْها أَحدٌ غَريبٌ اليَومَ .

ثمَّ ذهَب إلى الطَّباخِ : هَل رأَيْتَ أَحَدًا أَجْنبِيًّا اليَوْمَ فى حديقةِ المَنزلِ ؟

فَأَجابهُ : لا يا سَيِّدى .

وَتَأَكَّد مِنهُمَا أَنَّ اللَّبَّانَ وبائعَ الصُّحفِ ، وبائع

الخُبزِ ، والفاكِهانِى لَمْ يَدْخُلْ أَحدٌ مِنهم الحديقَةَ مُطلقاً اليَوْمَ .

ثمَّ ذهَب إلى أُمِّهِ وأَخبرَها بمَا قالهُ البُسْتَانىُّ والطَّباخُ ، ولم يجدْ فائدة من إضاعةِ الوقتِ بسببِ ضَياعِ قلمِه الذَّهبىِّ ، فأَخَذ قَلماً خَشبِيًّا عاديًّا منَ الرَّصاصِ ، وذهَبَ إلى الحديقةِ ، واسْتمر فى تَكْمِلةِ الرَّسمِ الذى بَدَأَه . وَفى الوقتِ نفسِه كان يُفكِّرُ فى قَلمِه الجميلِ الذى فُقد مِنْه فجأَةً ، وَلم يعرِفْ له أَثَرًا .

وبَعدَ مُدةٍ قَصيرةٍ ، رَجعَتْ أُختُه الصَّغيرةُ نَيرَةُ إِلَى البَيتِ ، ومَعها كُرَةٌ طائِرةٌ ، مِن الْمَطَاطِ (بالُون) ، لوُنُها أَحْمَر ، ومَنظَرُها جَميلٌ ، وشَكلُها مُستَدِير ، وحَجْمُها كبيرٌ ، وفى طرَفِها خَيطٌ طَويل لِتَلْعَبَ بها بنفْسِها . وهىَ أَكْبرُ كرَةٍ رَآها نَبيل . فلمَّا رآها أُعجِبَ بها كلَّ الإِعجَابِ ، ونَسِىَ قَلمَه الذَّهَبىَّ الجَميلَ الضائِعَ ، وذَهب لِيَرَى الكُرَةَ الجَميلةَ ،

الَّتى اشْترَتْها أُختُه نَيِّرَةُ .

نَظرَ نَبيلٌ إلى الكرَةِ الطائرةِ ، نظْرَةَ إعجابٍ ، ثمَّ أَعطاها لِأُختِه ، فطَلبتْ مِنه أَنْ يَلعَبَ مَعها ، فقال لَها : لا ، وأَشْكرُكِ يا نَيِّرةُ ، فقدْ ضاعَ مِنِّى القَلَمُ الجَديد ، ولَيسَ عِندى الآنَ مَيلٌ لِلَّعبِ مُطَلقاً ؛ لِأَنِّى حَزينٌ لِضَياعِ القَلمِ . وهوَ تِذْكارٌ منْ أَبِى ، وما كنت أُحِبُّ أَن يَضيعَ هٰذا التِّذْكارُ الذى أَهداهُ إِلَىَّ .

لِهَذا أَخَذتْ نَيِّرَةُ ، تَلعَبُ وَحدَها بالْكرَةِ ، وتَدْفَعُها فى الجَوِّ إلى أَعْلَى ، فتَطِيرُ ، وتُمسِكُ بها حينما تَنزِلُ إلى أَسْفلَ . وقد حَدثَ أَنْ هَبَّت الرِّياحُ فَجْأَةً ، وكانت شَديدةً جِدًّا ، فارتَفعَت الكرةُ الطَّائرةُ بَعِيدًا إِلَى أَعْلَى ، ولم تَستَطعْ نَيِّرَةُ أَن تُمسكَ بالْخَيطِ ، فصاحَتْ ونادَت أَخاها ، وقالَتْ له : اُنْظرْ يا نبيلُ ، لَقدْ رَفعَت الرياحُ الشَّديدةُ الكُرَةَ الطائرةَ فى الهَواءِ. أَسْرعْ مِن فَضْلِك، وَالْحَقْها ، واجْرِ وَراءَها ، وأَحضِرها ،

لِأَنَّها طارَت فى حَديقةِ الجيرانِ .

نَظَرَ نَبيل إِلَيها ، فوَجدها قدْ تركَتْ سُورَ الحَديقةِ ، وطارَتْ نحْوَ الأَرضِ . وقال لأُختِه : كان مِن الواجِبِ أَنْ تُحافِظى علَيها ، وأَلَّا تَسْمَحِى بذَهابِها بعِيدًا . ولَيسَ مِن الذَّوْقِ والأَدَبِ أَنْ أَتَسلَّقَ السُّورَ ، وأَنزلَ فى حَديقةِ الجيرانِ ، بِغيْرِ اسْتِئذان .

فقالَتْ نيرَةُ – وقدْ ظَهر علَى وَجهِها الحُزْنُ والأَلمُ – : إِنَّنى أُحبُّ لُعْبَتى يا نبيلُ ، بِقَدرِ حبِّكَ لِقَلَمِك الذَّهبِىِّ الجَميلِ . وأَرْجو أَنْ تُحضِرَها لِى ثانِيَة مِن فَضْلِك .

تَـأَلَّمَ نبيل لِأَلَمِ أُختِه ؛ لِضَياعِ كُرَتِها الطائرة ، ولُعْبتِها الجَديدَةِ الَّتى تُحبُّها ، وأَحَسَّ فى نفْسِه بالأَلمِ الذى يَشْعُرُ بِه الإِنسانُ حينَما يَضيعُ مِنهُ شَىْءٌ عَزيزٌ لَدَيهِ ، ومَحبوبٌ عِنْدَه . ورَأَى أَن مِن الواجبِ أَنْ يَكونَ لَطيفاً مَع أُختِه ، ويُراعِىَ إِحساسَها وشُعورَها ،ويُساعِدَها وَقْتَ الشِّدَّةِ ،ولا يُكْثِرَ المُناقَشَةَ معَها

نبيل يحاول أن يمسك (بالبالون) الكرة الطائرة فى الهواء

بِدونِ فائِدَةٍ ، فقال لَها :سأَذهَبُ ياأُخْتى ،وسأَعْمَلُ كلَّ وَسِيلةٍ ،لإِحْضارِ لُعْبتِك الجَميلةِ ، مِن حَديقةِ الجيران .

وجَرَى فى الحالِ إِلَى بَيتِ الجِيرانِ ، واسْتَأْذَنَ فى دُخولِ الحَديقةِ لِلبَحْثِ عن الكرَةِ الطَّائرةِ الَّتى طَيَّرَها الهَواءُ ، وطارَت فى الحَديقةِ . فأُذِن لَه ، وسُمحَ له بِالدُّخولِ . فوَجَد اللُّعبةَ ما زالَت تَطيرُ ، وهىَ تَبرُقُ وتَلمَعُ ، وتَتَحَرَّكُ مِن جِهَةٍ إِلى أُخرَى . فجَرى وَراءَها ، ووَجَد مِن الصَّعبِ أَنْ يُمسِكَ بها ، وهىَ تَطيرُ فى الهَواءِ بِسُرْعةٍ منْ شِدَّةِ الرِّيحِ . وكُلَّما اقْتَرَب مِنها ، وقفَزَ لِيَقبِضَ علَيها منَ الْخَيْط ، صَعِدتْ مُسْرِعةً إِلَى أَعلَى ، وطارَت فى الجَوِّ ، كَأَنَّها كُرَةٌ مَسْحُورةٌ ، ولم يَستَطعْ أَنْ يَصِلَ إِلَيها ، أَوْ يُمسكَ بها .

اسْتَمَرَّت الكرَةُ الطَّائرةُ مُرْتفِعةً فى الجَوِّ ، تَدْفعُها الرِّياحُ القَوِيّةُ ، ويُطَيِّرُها الهَواءُ الشَّديد ، واسْتَمرَّ نَبيلٌ يَجْرِى وَراءَها ، وَيَتَتَبَّعُها فى الحديقةِ

الواسِعةِ لِلْجارِ الغَنِيِّ ، ومِساحتُها عِشرون فَدَّاناً .
اِسْتمرَّ الهواءُ يَدفعها إِلَى الأَمامِ ، وإِلَى أَعلَى ، ونَبيلُ يَجرى خَلْفَها ، حتَّى عَبَرَ تُرْعةً صغيرةً تُرْوَى بِها الحَديقةُ والحَقلُ . وبَدَأَ يَتضايَقُ ، ويتَأَلَّمُ ، ويُظُنُّ أَنها لَنْ تَنزِلَ إِلَى الأَرْضِ ، ولنْ يَصِلَ إِلَيها ، ولنْ يُمسِكَ بها . وضَعُفَ أَمَلُه فى الحُصولِ علَيها ثانِيَة ، ولٰكنَّه تَذَكَّرَ أُختَه المَحْبوبةَ نَيِّرةَ ، وتذَكَّر مِقدارَ تَعَلُّقِها بلُعْبتِها ، ومَحَبَّتِها لَها ، فنَسِيَ كلَّ ما أَحَسَّ بِه مِن تَعبٍ ، وما تَصَبَّبَ فى جِسْمِه ووَجهِه مِن عَرقٍ ، بعْدَ الجَرْيِ الطَّوِيلِ ، فى هٰذا الجَوِّ الحارِّ .

ظَلَّ (اسْتَمرَّ) نبيلُ يَجرى وَراءَها ، ويَتتَبَّعُها حتَّى قَرُبَت منْ حُفْرةٍ فى حَقْلٍ مُتَّصِلٍ بِالحديقةِ ، فظَنَّ أَنهُ يَسْتَطيعُ أَن يُمسكَ بها ، وجَرَى وَراءَها ، ولٰكنْ مَعَ الأَسَفِ الشَّديدِ ، كان إِذا اقْتَرَب منْها ، وحاوَل أَن يَصِلَ إِلَيها ، ويُمسكَ بِخَيطِها اِرْتَفعَتْ ثانِيةً إِلى

أَعلَى ، وطَيَّرَها الهَواءُ الشَّديدُ فى الجَوِّ .

ظَلَّ : (اسْتَمرّ) نبيلٌ يَتَتَبَّعُها ، ويَجرى وَراءَها ، وقَد احْمَرَّ وَجهُهُ مِن كَثرةِ الجَرْى ،ولٰكنَّه لم يَيْأَس ، ولم يَصِل اليَأْسُ إلى نَفسهِ .وما زالَ عِندَه أَمَلٌ فى أَنْ يُمسكَ بها .

وفى النِّهايةِ طارَت الكرَةُ الطَّائرةُ المُتْعِبةُ فَوْقَ شَجرَةٍ عالِيَةٍ مِن أَشْجارِ التُّوتِ ، فتَعلَّقَ الْخَيطُ بفَرْعٍ منْ فُروعِها ، فوَقفَتْ فَوْقَها ، وتعَطَّلتْ ، ولم تَسْتَطعْ أَنْ تَطيرَ . فسُرَّ نَبيلٌ سُرورًا كَثيرًا ، وتَأَكَّدَ تَماماً أَنَّه فى هٰذِه المَرَّةِ يُمكِنُه أَنْ يُحضِرَ الكُرةَ الطائرةَ ، ويُعِيدَها إلى أُختِه الَّتى تَنْتَظِرُهُ فى البَيتِ ،وتَرجُو أَنْ يَرجعَ بها .

بَدَأَ نَبيلٌ يَطلَعُ الشَّجَرَة ، وأَمَلُهُ كَبيرٌ فى الحُصولِ علَى الكُرَةِ الَّتى تُحِبُّها أُختُه . وقدْ وَصلَ إلى خَيطِها ، وأَمسكَ بِه ، ورَبطَه فى يَدِه اليُمْنى . وفى الوقتِ الذى أَخَذ فيهِ يَنزِلُ مِن فَوْقِ الشجَرةِ ، ويَشُدُّ الطائرةَ ، لِيَأْخُذَها معهَ ، رأَى شَيئاً غَريباً على الشجَرة ؛ رَأَى

عَيْنَينِ بَرَّاقَتَين تَنْظُرَان إِلَيهِ منْ فَرْعٍ منْ فُروعِها العالِيَةِ . فتوقَّف عَن النُّزولِ ، وَنَظَرَ إِلَى الشجرةِ مِن أَعْلَى ، نَظْرَةَ عَجَبٍ واسْتِغرابٍ ؛ لِيَرَى ما هٰذا الذى يَنْظرُ إِلَيهِ بِعَينيْهِ مِن فوْق .

فماذَا وَجَد فوقَ الشَّجَرةِ ؟ وَجَد نَسْناساً صَغِيرًا ، جَالِساً وحْدهُ ، وقدْ رَبَّاهُ الجارُ فى بيتِه ، فعَجبَ كلَّ الْعَجَبِ ، ولم يقْدِرْ أَن يَقولَ كلمة واحِدَةً . ولم يَسْتطِعْ أَن يَفعلَ شَيئاً . وَوَقفَ مُسْتغرباً . ولَحَظَ أَن فى رَقَبةِ النَّسْناسِ طَوْقاً منَ الجِلْدِ ، وقد رُبِطَ فى الطَّوْقِ سِلْسِلةٌ رَفيعَة من النُّحَاسِ ، وقد تدلَّت السِّلسِلة ، ورآها نبيلٌ بالقُرْبِ منهُ فوْقَ الشَّجرَةِ .

اعتقَد نبيلٌ أَن النَّسناسَ الشَّقىَّ قد هَربَ من منزلِ صاحِبه ، وعَزَم فى نفسِه أَن يُخبرَ الجارَ عن المكانِ الذى وَجَد فيه النَّسناسَ الصغير ! خَوْفاً من أَن يهْربَ ويَضِيعَ وهوَ عزيزٌ عندَ صاحِبه من الجيرانِ.

ثم فكَّرَ نبيلٌ فى أَن يـأْخُذَ السِّلسلةَ ويربُطَها رَبْطاً جَيِّدًا بِعُقْدَةٍ أَو عُقدتيْنِ ، حولَ فَرعٍ من فُروعِ الشجرَةِ ، حتى لا يَهْرُبَ بعيدًا ويتُوهَ بينَ الْحُقول والمزارع . وقدْ نفَّذَ هذه الفِكْرَةَ ، وهىَ فِكرةٌ حسنة صائبَة ، ثم نظرَ إليهِ نبيلٌ وقالَ لهُ : الآنَ يجبُ أَن تنتظِرَ فَوقَ الشجرةِ ، وتبْقى هُنا حتى يحضُرَ إليكَ صاحِبُكَ ، ليَـأْخُذَك ، أَيُّها النَّسْناسُ الظَّريف .

ولنْ يُمْكِنَكَ أَن تهرُبَ من هُنا بعْدَ أَن رَبَطْت سِلْسِلتَكَ النُّحاسِيَّةَ فى فرعِ الشجرَةِ رَبْطاً محكماً .

نزلَ نبيلٌ من فوقِ الشجرَةِ ، وفى يَدِه الكُرَة الطَّائرَةُ . وهوَ مسرُورٌ ؛ لأَنهُ اسْتطاعَ أَن يَصِلَ إليها فى النِّهايةِ . وَذهَب إلى الجارِ ، وهوَ صاحبُ الحديقةِ ، وصَديقٌ لأَبيهِ . وهوَ رجُلٌ مُهذَّبٌ يعْرِفُ حُقوقَ الجارِ ، ويُشارِكُ الجيرانَ شُعورَهم ، ويُواسى الحزينَ ، ويُساعِدُ المُحتاجَ . وهوَ يحتفِظ بهذا النَّسناس ، ويحبُّه

كثيراً ، لأَنَّه عَزيز عِندهُ ، وهدِيَّةٌ من أَحَدِ أَصْدقائِه بالسودانِ . وَقَد أَخبرهُ نبيلٌ أَنهُ رأَى النَّسناسَ الصغِيرَ مُخْتَبئاً فوقَ الشجرةِ بالْحقْل . وقد سُرَّ الجارُ كثيرا لِمَا سمِعهُ من نَبيل ، وقال له : إِنى أَشكُرُ لكَ إِحساسَكَ يا نبيل شُكرا جَزِيلًا . فقد حَلَّ النَّسناسُ الشقِيُّ السِّلْسِلةَ ، وفَكَّها فى هذا الصَّباحِ ، وخرجَ منَ الْحَديقةِ ، وكنتُ أَخاف أَن يَضِيعَ أَوْ يتُوهَ ، وهو نَسْناسٌ ذَكِى ظَرِيفٌ ، كَثيرُ النشاطِ ، أعزُّهُ كثيرًا . ومنَ المُؤْلِم أَن يفْقِدَ الإِنْسانُ شيئاً عَزيزًا عِندهُ .

فوافقَ نبيلٌ عَلَى هذا الكلامِ وقالَ : نعَمْ إِنَّ منَ المؤْلِمِ كثيرًا أَن يضيعَ منَ الإِنسانِ شىءٌ عَزيزٌ يُحِبُّهُ ، وقد ضاعَ مِنِّى اليوم صَباحاً قَلمى الذَّهَبِىُّ الجميلُ ، الذى أَهداهُ إِلَى أَبى فى عِيد ميلادِى الماضِى مُنذُ سِتَّةِ أَشْهُرٍ : ولهذا أُحِسُّ بما تُحِسُّ، وأَشعُرُ بما تَشْعُرُ به .

فقالَ الرَّجلُ لِنَبيلِ : تعالَ لِكَى نَذهَبَ معاً

ونُمْسِكَ بالنَّسناسِ . فذهبَ معه نَبيلٌ ، وسارَا مَعاً حَتَّى وَصَلا إلى شَجَرةِ التُّوتِ ، التى وَقف النَّسناس عليها . ورأى الجارُ أَنَّ نَبيلًا قد رَبطَ السِّلسلةَ فى فرعِ الشجَرةِ رَبْطاً مُحكماً بمهارةٍ ، فسُرَّ منهُ ، وَأُعجبَ به كلَّ الإعجابِ . ونادَى الرَّجلُ النَّسناسَ باسمهِ : سامى ، وَقالَ لَهُ : انزِل يا سامى . إنكَ نَسناسٌ شَقِىٌّ صَغيرٌ . ماذا تفعلُ فوقَ الشجرَةِ ؟ انزل فى الحالِ ، وَتعالَ أَيُّها الشَّقى !

فكَّ الرَّجلُ السلْسِلةَ ، وحَلَّها ، فوثَبَ النَّسناسُ فى الحالِ فوقَ كتِفِ صاحبِه الذى يُحِبهُ . وكانَ مَع النَّسناسِ شىءٌ لامِعٌ برَّاق ، فقدَّمه إلى صاحبهِ بكفِّهِ السَّمراءِ الصغيرة ، وأَعْطاهُ إيَّاهُ ، فأَخذهُ منه ، ونظرَ إليه وتعجَّبَ كثيرًا .

فما هذا الشىء اللامِع الذى قَدَّمَهُ النَّسناسُ لصاحِبه ؟ فكِّرْ قليلًا ، ثمَّ أَجبْ . وقد تعجَبُ كل العَجَبِ إذا عَرفْتَ أَنهُ قلمٌ ذَهبىٌّ جميلٌ مِن الرَّصاص .

هذا هو القلم الذهبي الذى ضاع منى

ففَرِحَ نبيلٌ كلَّ الفرَح حينما رآه ، وقالَ : عجباً يا عَمِّى ! هذا هوَ القلم الذهبيُّ الذى ضاع مِنى فى حَديقةِ بيتنا صباح اليوم . نعمْ ، هو قلمِى حَقًّا . لا شَكَّ فى ذلكَ ! انظُرْ يا عمِّى إلى الاِسم الذى نُقِشَ عليه ، إنه اِسمى . انظر إلى تاريخِ ميلادى . إنه منقوش بجانب الاِسْمِ .

فضَحِكَ صاحبُ النَّسناسِ وَتَعجَّب ، وقالَ : إن هذا شىءٌ غَريبٌ كلَّ الْغَرَابةِ . أَنا أَعلمُ أَن النَّسناسَ شَقِىٌّ . وأَظُن أَنه تسلَّقَ سُورَ الْحَديقَةِ الذى يَقعُ بينَ بيتِنا وبَيتِكم فى هذا الصَّباحِ ، ورَأَى القلمَ اللَّامِعَ الجميلَ عَلَى المِنضَدَةِ ، فنزلَ وخَطِفَهُ وهَربَ بهِ ، وقفزَ منَ السورِ ، ولم يَرهُ أَحَدٌ ليَمْنَعَهُ . إنهُ يحبُّ الأَشياءَ اللَّامِعَةَ البرَّاقةَ كثيرًا . ومن حُسنِ الْحَظِّ أَنكَ رأَيتَه فوقَ الشجَرةِ ، وأَنَّ القلمَ لم يَضِعْ منه بين الحشِيشِ الكثير ، والنَّباتِ الأَخْضَر . ولكنْ ، ما الذى

أَتى بكَ يا بُنَيَّ إلى هذهِ الشجرةِ ؟ وكيفَ جئتَ عِندها؟

فأَجابَ نبيلٌ : إنَّ أُختِي نَيِّرَة قد ضاعَتْ مِنها كرتُها الطائِرةُ الحمراءُ اليوْمَ ، وطارَتْ فى الهَواءِ ، وكانَت الرِّياحُ شَديدةً ، فدفَعتْها بسُرْعَةٍ إلى حدِيقَتِكُم ثم إلى الحقلِ ، وأَخذْتُ أَجْرى وراءَها وأَتَتَبَّعُها مسافةً طويلةً ، حتى وصَلتْ إلى شَجرَةِ التُّوتِ ، فاعْتَرَضَتْها الشَّجرةُ . واصْطدَمَتْ بها ، فوقَفَتْ فوقَها ، ولم تتَحَرَّكْ بعد ذلك . فَطلِعْتُ الشَّجرَةَ ، وَأَخذْتُ الكُرةَ الطائِرةَ ، وربَطْتُ خَيْطَها فى يَدِى. وحينما كنتُ نازِلًا من فوقها رأَيْتُ عَيْنيْن برَّاقَتيْن تَنظرانِ إلَىَّ نَظرةً حادَّةً . فعَجِبتُ ، ودهِشْتُ ، وتحيَّرْتُ ، ونظرْتُ نظرةً فاحِصَة ، فوجدْتُ النسناسَ واقِفاً عَلَى فرْع من فُروعِ الشَّجرةِ . ورأَيتُ سِلْسِلَتَه الطويلةَ مُتدلِّيةً إلى أَسفلَ ، ففهِمْتُ وعرَفْتُ أَنهُ قد هَرَبَ من بيتِكم ، وخِفتُ عليه من الهربِ والضَّياعِ ، فربطْتُ سِلْسِلتَهُ فى فرع منَ

الشَّجَرةِ . والْحَقُّ أَنه نَسْناسٌ ظَرِيفٌ من النَّوْعِ الذَّكىِّ النادِرِ القليلِ .

فقالَ الرْجُل : إنَّها قصَّةٌ لَذِيذة ، مَملوءةٌ بالْحِكْمَةِ والنَّصيحةِ والْعِظةِ . اُنْظرْ يا نَبيلُ ، إلى ما فى حِكايتِكَ من دَرْسٍ نافِعٍ مُفيدٍ . إنَّكَ رأَيتَ بنفْسِك أَنَّ مَنْ أَحسَنَ إلَى غَيرِه أَحسَنَ اللهُ إليهِ . ومَن قَدَّم خَيرًا وَجَدخَيْرًا . ومَنْ صَنَعَ مَعروفاً جَزاهُ اللهُ جَزاءً حَسناً .

قالَ تعَالى : « مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جاءَ بالسَّيِّئةِ فَلا يجْزَى إلَّا مِثلَهَا . » وَقالَ فى كِتَابهِ الكريم : « فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّة خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ . » فأَنْتَ قد أَحْسنْتَ إلى أُخْتِكَ نيِّرَةَ ، بالْجَرْيِ وراءَ الكُرةِ الطَّائرة ، وَأَتعبْتَ نفسَك ، لِتَرُدَّها إليْها ، وتُدْخِلَ السُّرورَ عليْها ، وتُزِيلَ الْحُزْنَ عنْها ، فأَحْسنَ اللهُ إلَيْك ، وأَنْعمَ عليكَ ، وَأَزالَ الْهَمَّ عنْكَ ، ورَدَّ قَلمَكَ الذَّهبِىَّ

إليْك . ولوامْتنَعتَ ولم تذهَبْ لإحضارِ الكُرة الهاربةِ ، ما وجَدْتَ قَلمَك الجميلَ . ولوْ لَمْ تتتَبَّع الكُرة بمثابرَةٍ وَصبرٍ مَا وَصَلْتَ إلى النَّسناسِ الظَّريف ، وما عَرَفْتَ أَنَّهُ فوْقَ الشَّجَرة . ولوْ لَمْ تَحْضُرْ إلَيَّ لتُخْبِرَنى عن النَّسناسِ ومكانِهِ المختَبِئِ فيه ، مَا حَضرْتُ معكَ لِأَخْذِه ، ولَرَمى الْقلمَ هُنا أَوْ هُناكَ ، وفقدْتَ هَديَّتكَ ، وضاعَتْ منْهُ من غيْرِ أَنْ يُحِسَّ ، وَضاعَت منكَ إلى الأَبَدِ . فأَنتَ قدْ صنعْتَ مَعروفاً مَعى وَمَعَ أُختِك الصَّغيرةِ ، فكافأَكَ اللهُ مُكافأَةً جميلةً ، وجَزاكَ جَزاءً حَسناً فى الحالِ ، وردَّ إليكَ هَديَّتَكَ الضَّائعةَ ، التى لَمْ تسْتطِعْ أَنْ ترَى لها أَثرًا ، بعدَ أَنِ احْتَرْتَ ولم تعْرِفْ مَن أَخَذَها ، معَ أَنَّكَ بحثْتَ عنْها مُدَّة طويلةً ، فى كلِّ مكانٍ بالحديقَةِ .

فقالَ نبيلٌ : هذا دَرسٌ نافعٌ حقًّا ، وعِظَةٌ حَسنةٌ تدْعو إلى فِعلِ المعْرُوفِ والجمِيلِ دائماً ، مَعَ مَنْ أَعْرِفُه

ومَنْ لا أَعْرِفه .

وقد دَعاهُ الجارُ لِيَتناوَلَ هُوَ وأُخْتُهُ الشايَ عِنْدَه بعْدَ عَصْرِ ذلكَ اليوْمِ ، وَلِيَلْعبَا معَ النَّسناس النَّشيطِ ويَتَسَليَا بِهِ ، ويَرَيا ما عنْدَهُ منَ الطُّيورِ النادِرة المحْبوبة كالْبُلْبل والبَبْغاءِ .

فشكَرَ لهُ نبيلٌ دعْوَتَهُ الرقيقةَ ، وقالَ لهُ : سَأَسْتأْذِنُ أُمِّى وأَبِى . ويسُرُّنى كثيرًا أَن أَحْضُر أَنَا وأُخْتى الصَّغيرةُ لِنَتناوَلَ معكُم الشَّايَ ، ونلْعبَ معَ النّسناس الشَّقِيِّ ، وَنَرَى البُلبلَ المُغَرِّد ، ونَسْمعَ البَبْغاءَ الظَّريف . ثمَّ وَدَّعهُ نبيلٌ ، وشَكرَ كلٌّ منْهُما الآخَرَ وجَرَى نبيلٌ إِلى بيْتِه ، وكُلُّه فرحٌ وسرورٌ ،والسّعادةُ ظاهِرةٌ على وجْهِه الضَّاحِك . ولا عَجَب ؛ فقدْ وجَدَ القَلَمَ الذَّهبِىّ المفْقودَ ، وَوَضعَهُ فى جَيْبه بكلِّ عِنايةٍ ودقَّة ؛ كىْ لا يَضيعَ مَرَّةً أُخرَى .

ورَجعَ ومَعهُ الكُرَةُ الطَّائرةُ الشَّقِيَّة ، وقدْ أَمْسكَ بخَيْطِها فى يَدِه اليُمْنى ، فجرَتْ وراءَهُ وتبِعتْهُ وهُو

راجعٌ إلى البيْتِ ، فائزًا ، مُنْتَصِرًا ، مَسرورًا ، فَرِحاً . فماذا يُريدُ نَبيلٌ أَكْثرَ منْ ذٰلك ؟

وَصلَ نبيلٌ إلى البَيتِ ، وهُوَ ضاحِكٌ مُسْتبْشِر ، فاسْتَقْبلَتْهُ أُخْتُه نَيِّرَةُ ، بِكلِّ فرحٍ وسُرورٍ . وَصاحَتْ من شِدّةِ الفَرَحِ حِينما رأَتْ معهُ كُرتَها الطَّائِرَةَ الجميلةَ . وَقد ازدَادتْ فَرَحاً على فرحٍ ، وسروراً عَلَى سرور ، حينما عَرفت منْهُ أَنَّه وجَدَ قلمَهُ الضَّائعَ الجديدَ . وَشارَكَتْهُما أُمُّهما وأَبُوهما فى فَرَحِهما وغِبْطتِهما وسُرورِهما عِنْدَ ما سَمِعا القِصَّةَ .

وقالتْ لهُ نَيِّرَةُ : اُنْظرْ يا نبيلُ ، لوْ لَمْ تَذْهَبْ للْبَحْثِ عنْ لُعْبَتِى الهاربةِ ما وجَدْتَ قلَمكَ الذَّهبىَّ الجميلَ . وقدْ نِلْتَ أَحْسنَ جَزاءٍ عَلَى جَميلِكَ ومَعْرُوفكَ ، منْ حَيْثُ لا تنتَظِرُ . أَليْسَ كذٰلكَ يا نَبيلُ ؟

فوَافَقها نبيلٌ عَلَى رأْيِها ، وقالَ لهَا : إِنِّى وَاثقٌ منَ اليَوْمِ كلَّ الثِّقةِ ، أَنَّ مَنْ فَعَلَ خَيْرًا جَزاهُ اللهُ خَيْرًا .

واسْتَـأْذَنَ نبيلٌ أَبَوَيْه فى الذَّهاب إلى بيْتِ جارِهما ، ليَتناوَلَ هُوَ وأُخْتُه نيِّرَةُ الشَّايَ عِنْدَهُ ، إجابة لِدَعْوَتِه الرَّقيقَةِ ، فـأَذِنَا لَهُما ، شاكِرَيْنِ لهُ عَطْفَهُ ولُطْفَه ، وحُسنَ مُعامَلِتِه .

وقد ذَهَبَ نبيلٌ وأُخْتُه وتَناوَلا الشايَ عندَ جارِهما الكَريمِ ، ولَعِبَا معَ النَّسناسِ الظَّرِيف ، وسَمِعَا البُلْبل وَهُوَ يُغَنِّى ، والبَبغاءَ وهُوَ يتكلَّمُ ويُقَلِّدُ ويُرَدِّد ما يَسْمَعهُ . وقَضَيَا وَقتاً كلُّهُ لَعبٌ وسرورٌ .

وبعدَ ساعَةٍ منْ تَناوُلِ الشَّايِ ، اسْتأْذَنَا من السَّيِّدةِ وزَوْجِها ، وشَكرَا لَهُمَا حُسْنَ اسْتِقبالِهما ، وكَرَمَهُما . وذَهَبَا إلى بيْتِهما فَرِحَيْنِ مَسروريْنِ ، سَعيدَيْنِ كلَّ السّعادَةِ .

القِصَّةُ الثَّانِيَة

الإِحسانُ إِلَى الفُقراءِ

ذاتَ مَرَّةٍ مَكثَ رجُلٌ فقيرٌ هوَ وزَوجُه وأَولادُه ثلاثةَ أَيامٍ لم يَأْكُلُوا فِيها شَيئاً منَ الطعامِ . فقالتْ لهُ امْرَأَتُه : اُنظُرْ إِلى أَوْلادِنا ، وسَترى أَنَّهمْ صاروا صُفرَ الوجوهِ ، ضِعافَ القوَّة ، لِشِدةِ جوعِهم ، وعَدَمِ تَغذيَتِهم . ولَيسَ فى استِطاعتِهم أَن يَصبِرُوا على الجوع كما نَصبِرُ ، أَوْ يَقوَوْا على احْتِمالِه مِثلَنا .

فقالَ لَها : إِنَّنى أَعلَمُ كلَّ هٰذا ، ويُؤْلِمُنى كلَّ الأَلَمِ أَنْ أَراهم جِياعاً . وقدْ بَحثْتُ فى كلِّ مَكانٍ عَن أَىِّ عَمَلٍ أَكْسِبُ مِنه قُروشاً مَعدودَة ، لِأَشتَرىَ بها طَعاماً لَهم ، فلَمْ أَجدْ . وبَحثْتُ عَمَّن يَستأْجِرُنى عِندهُ يوْماً بأَىِّ أَجرٍ فلمْ أَجِدْ. وإِنِّى حَزينٌ مِن أَجلِهم كلَّ الحُزن .

فقالتْ لهُ : خُذ هٰذا الإناءَ النُّحاسيَّ ، وبِعهُ بأَيِّ ثَمَنٍ ، وَاشترِ بثَمنِه لَهم طَعاماً يَأْكُلونَه . فأَخَذ الإناءَ وباعَه بقِرْشَين ، وسارَ لِيَشترىَ بهمَا خُبزا وملحاً لأَوْلادِه . فسَمِع فى الطريقِ رَجُلا مِسكيناً يَقولُ : أَعْطونى لِوَجهِ اللهِ ، ولِمَحَبَّةِ رَسولِ اللهِ صلَّى اللهُ علَيه وسَلَّم . يا مَن يُقْرِضُ (يُسلِّفُ) اللهَ الغَنىَّ ، ويُحسنُ إلىَّ ، فَواللهِ لَيسَ عِندى مِن الدُّنيا شَىْءٌ .

فتألَّمَ الرَّجلُ الفقيرُ لِحالِهِ ، وقال لَه : خُذ هٰذَينِ القرشَين ، وهُما كلُّ ما مَعى ؛ لِوَجهِ اللهِ ، ومَحَبَّةِ رَسولِ اللهِ ، ثم خَجِل أَن يَرجعَ إلَى زَوجتِه وأَوْلادِه بِغَيرِ طَعام ، وذَهبَ إلى المسْجِد ليُصَلِّىَ ، وترَك الأَمْرَ للهِ . فلمَّا أَتَى اللَّيلُ رَجع إلى بَيْتِه ، ولَيسَ مَعه شىْءٌ . فسَأَلتْهُ زَوجُه : ماذا فَعلْتَ بالإناءِ النُّحاسِىِّ ، وأَوْلادُنا فى شِدَّةِ الجوعِ ؟

فأَخبرَها بِما حَدث لَه ، وما فعَله معَ السائِلِ الفَقيرِ . فقالت لَه : لَقد أَحسَنتَ فيما فعَلْتَ . ولَنْ

يَنسانا اللهُ ، ثمَّ أَحضَرَت لَه قِدْرا ، وقالت لَه : خُذ هٰذِه القِدرَ الفارِغَة ، وَبِعْها ، واشتَرِ لَنا بثَمنِها طَعاماً . فطافَ بالقِدرِ ، فلَم يشتَرِها مِنه أَحدٌ ، فتَأَلَّمَ كلَّ الأَلمِ ، وأَرادَ أَن يَرجع بها إِلَى بَيتِه ، فقابلَه صَيادٌ ، ومعَه سَمكةٌ كَبيرةٌ يُريدُ أَن يَبيعَها ، ولا يَجد لها مُشتَرياً يَشتريها .

وَقفَ الصَّيادُ مَع صاحِب القِدر ، فعَرَض الصيَّاد علَى الفَقير أَن يَتَبادَلا ما مَعَهما ، فيَأْخُذَ الفقيرُ السَّمكةَ ، ويأْخُذَ الصيَّادُ القِدرَ . فرَضيَ الاثْنانِ بالبَدلِ ، وأَخَذ الفقيرُ السمكةَ ، وذَهبَ بها إِلى زَوْجتِه . فلمَّا رأَتْها فَرِحتْ بها ، وأَخَذَتْها لِتُنظِّفَها ، وتُعِدَّها لِلطَّعامِ ، فشَقَّت جَوْفَها ، فوَجَدت فى بَطنِها جَوهَرةً تَبرُقُ وتَلمَعُ ، فنادَت زَوجَها فرَآها ، وأُعجبَ بها ، وأَخَذَها وذَهب بها إِلى تجَّارِ الجَواهِرِ ، فقالوا لَه : إِنَّها جَوهَرةٌ ثَمينةٌ ، لا تُقَدَّرُ بِمال . وتَنافَسوا

فى شِرائِها ، حتَّى بَلغَ ثَمنُها أَلْفَىْ جُنَيه ، فباعَها ، وأَخَذ ثَمنها ، واشترى ما أَراد مِن الطعامِ ، وذَهب إِلى زَوجَتِهوأَولادِه ، وأَخْبرَهم بما حَدث ، ففَرِحوا فَرِحًا كَثيراً ، وزالَ عَنهُم الهَمُّ والحُزنُ ، وحَمِدوا اللهَ حَمدًا كثيراً ، وشكَرُوا لَهُ نِعَمَهُ شُكرًا عظِيماً .

وَحِينَما كانوا يتَناوَلون الطَّعامَ ، وهُم فَرِحون مَسرورون ، سَمِعوا سائِلاً فَقيرًا خارِجَ الباب يَقولُ : يا أَهلَ الله ، أَعْطونى مِمَّا أَعطاكُم اللهُ . فخَرج إِلَيه الأَبُ مُسرعاً ، وقال لَه : تَفَضَّل ، خُذ وَحدَك نِصفَ ما معنَا كامِلًا ، وسَنَأْخُذُ نحنُ جَميعاً النِّصفَ البا قِىَ . وإِذا لم يُرضِكَ هٰذا فخُذ ما تُريدُ .

فقال السائل : قد رَضيتُ بالنصفِ ، وذَهب لِيَأْتِىَ بجَملٍ يَحمِلُ علَيهِ هٰذا المالَ ، ولٰكِنَّه لم يَرجعْ ، وأَخَذَ صاحِبُ البَيتِ ينتَظِرُ رُجوعَه ، حتَّى غَلَبَه النَّوْمُ ، فنامَ ، ورَأَى السائلَ فى نَوْمِه ، فسأَلَه

لِماذا لم تَأْتِ لِتَأْخُذَ نَصيبكَ ؟

فأَجابَه : إِننى لَسْتُ بسائلٍ ، ولَستُ بِفَقِيرٍ ، وأَنا مَلَك مِن المَلائِكةِ ، أَرسلَنى اللهُ إِلَيكَ لِأَخْتَبِرَك فيما أَعطاك ، وأُبَشِّرَك بأَنَّ الله قد قَبِلَ مِنكَ القِرشَين ، وَأَعطاكَ بَدَلًا مِنهُما أَلْفينِ من الجُنَيهاتِ ، وأَعَدَّ لَكَ فى الآخِرَةِ ما لا عينٌ رَأَت ، ولا أُذُنٌ سَمِعَت ، ولا خَطَرَ على قَلبِ إِنسان ؛ لِأَنَّكَ أَخلَصتَ لِوَجهِ الله ، واللهُ لا يُخَيِّبُ مَن أَخلَصَ إِلَيْه ورَجاهُ .

القِصَّةُ الثَّالِثَة

اللهُ لَطيفٌ بِعبادِه

قالَ أَحدُ الصالِحينَ : ذَاتَ يَوْمٍ ذهَبتُ إِلى شاطئِ النِّيلِ للرِّياضة ، وحينما كنتُ واقِفاً رأَيتُ عَقْرَباً كبيرةً آتيةً جِهتِي ، فخفِتُ منها ، وقُلتُ : أَعوذُ بالله ، وَسأَلْتُ اللهَ أَن يَكْفِيَنِى شَرَّها ، وزَحَفَت العَقربُ حتى وَصَلَت إِلى النِّيلِ . فرأَيتُ ضِفدِعةً كبيرة خَرجَت مِن الماءِ ، فرَكِبَت العقربُ فوقَ الضِّفدِعةِ ، وَعامَت بها الضِّفدِعةُ على سَطحِ الماءِ ، فأَخَذتُ قارباً وتوجَّهتُ وَراءَهُما ؛ لأَرى ما يَحدُثُ لَهُما . وٱستمرَرْتُ أَنْظُر إِليهِما حتَّى وَصلَتَا إِلى الشاطئِ الآخَرِ مِن النَّهرِ .

وقَفت الضِّفدِعةُ على الشاطئِ ، وَزَحفَت العقرَبُ حتَّى وَصَلَت إِلى شَجرةٍ مِن أَشجار التُّوتِ ، كبيرةٍ

الأَغْصانِ ، كثيرةِ الظِّلِّ . وكانَ تحتَ الشجَرةِ شاب نائمٌ ، تَفوحُ رائحةُ الخمرِ مِن فَمِه . فقُلتُ : لاحَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ العلِيِّ العظيمِ . لَقَد جاءَت هٰذهِ العقرَبُ مِنَ النَّاحيةِ الأُخرَى مِنَ النِّيلِ لتِلدَغَ هٰذا الشابَّ ، وهُوَ نائمٌ . وَعَزَمتُ فى نَفسى أَن أَقتُلَ العقرَبَ إِذا قَرُبَت مِنهُ ، وَأَرادَت أَن تَلدَغَه .

فوَقَفتُ بالقُربِ مِن الشابِّ ، لأَرَى ما يَحدُثُ مِنَ العَقربِ . وفجأَةً ظَهَرَ ثُعبانٌ كبيرٌ طَويلُ الجسمِ ، وَقَد أَتَى يُريدُ أَن يَقتُلَ الفتَى الشابَّ ، فزَحفَت العقربُ ، حتى وَقَفَت على دِماغِ الثُّعبانِ ، وَاستَمرَّت وَاقِفةً على دماغِه ، وهىَ تَلدَغُه لَدغاً شَديدًا حتى قتَلَت الثُّعبانَ ، ثُمَّ رَجَعَت إلى النِّيلِ ، فوَجَدَت الضِّفدِعةَ تَنتظِرُها قُربَ الماءِ ، فرَكِبَت فَوقَ ظَهرِها ، فَعامَت بها الضفدِعةُ ، ورَكِبتُ القارِبَ ، وسِرْتُ وَراءَهُما مُتعَجِّباً ، حتَّى وَصَلَت الضِّفدِعةُ بالعقرَبِ

إلى المكانِ الذى جاءَت مِنه ، ثُمّ ٱستَمَرَّت الضِّفدِعةُ قُربَ الشاطئِ وَذهَبت العَقربُ لِحالِها .

فَقُلتُ : سبحانَ اللهِ ، والحَمدُ للهِ ، وَلا إلهَ إلَّا اللهُ ، وَاللهُ أَكْبرُ ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ . اللهُ لَطيفٌ بِعبادِه ، يَحفَظُ مَن يَشاءُ ، ويُنَجِّي مَن يَشاءُ مِن كُلِّ سُوءٍ ، وَنِعمُهُ لا تُعدُّ وَلا تُحصَى .

ثُمَّ رجَعتُ إلى الشابِّ النائمِ تحتَ شَجَرةِ التُّوتِ ، وأَيقَظتُه مِن نَوْمِه ، وأَخبَرتُه بالقِصَّةِ ، فشَكَرَ للهِ شُكرًا جَزيلًا ، وَتابَ إلى اللهِ ، وَنَدِمَ على ما فَعَلَ ، وعَزَمَ على ألَّا يَعود إلَى المعصِيَةِ . وتركَ ثِيابَ اللَّهْوِ والاستهتارِ ، ولَبِسَ ثِيابَ الطَّاعةِ والاستقامةِ وَالكمال. وبَقِيَ مُطيعاً للهِ ، بَعيدًا عَنِ الذُّنوبِ ، حتَّى ٱختارَهُ اللهُ .

القِصَّةُ الرَّابِعَةُ

فى بَيتِ رابِعةَ العَدَوِيَّةِ

كانت رابعةُ العدَويةُ سيِّدَةً صالحةً تقيةً . وقد حُكِىَ أَنَّ لِصًّا دَخَلَ بَيتَها وهىَ نائمةٌ ، فَجَمَعَ ما أَحَبَّ مِنَ البيتِ ، ثُمَّ أَرادَ أَن يخرُجَ من البابِ ، فَخفِىَ عليهِ البابُ ، فقعدَ ينتظرُ ظُهورَهُ ، فسمعَ صَوتاً يَقولُ لهُ : ضَع الثِّيابَ التى أَخَذتَها ، واخرُج من البابِ .

فَوَضَعَ اللصُّ الثِّيابَ ، فظهرَ لهُ البابُ ، وَرَآهُ ، ثمَّ أَخَذَ الثِّيابَ ثانِيَةً ، فَخفِىَ عليهِ البابُ . فَوَضَعَها فظهرَ لهُ البابُ ، فأَخَذَها فخفِىَ عليهِ البابُ ، واسْتَمَرَّ هٰكَذَا أَكْثرَ مِن ثَلاثِ مَرَّاتٍ .

فَسَمِعَ صوتاً يُنادِيهِ : إذا كانَتْ رابِعَةُ قد نامَت فَإِنَّ اللهَ لا يَنامُ . فَوَضَعَ اللِّصُّ الثِّيابَ ، وخَرَجَ منَ البابِ ، ونَدِمَ عَلَى ما فَعَلَ ، وتابَ عنِ السَّرقَةِ .

القِصَّةُ الخامِسَة

إطاعَةُ اللهِ

يُحكى أَنَّ حامدا اللَّفافَ – رضى اللهُ عنهُ – أَراد فى يومٍ منَ الأَيامِ الذَّهابَ لِيُصَلِّىَ الجُمعةَ فى المسجدِ. وَفى ذٰلِكَ اليومِ كانَ حِمَارُهُ قد تاهَ ، ولمْ يَعْرِفْ له مكاناً ، وَدَقيقُ بيتِهِ فى الطَّاحونِ ، وَزِراعَتُهُ فى حاجَة لِلرَّىِّ ، فحَارَ فى أَمرِهِ ، وأَخَذ يُفكِّرُ ، وَقالَ لِنفسهِ : إِنْ ذَهَبْتُ لِصَلاةِ الجُمُعةِ فَاتَتنِى هٰذِهِ الأَعمالُ . وَبَعْدَ التَّفْكيرِ صَمَّمَ على أَن يُرضىَ ربَّهُ ، وَيَذهَبَ لِيُصَلِّىَ الجُمُعَةَ ، ويُقَدِّمَ ما أَمَرَ بِهِ اللهُ ، على أُمورِ دُنْيَاهُ .

صَلَّى الجُمعةَ ، ثمَّ رجَعَ إِلى حقلهِ ، فوَجَدَ أَنَّ زِراعتَهُ سُقِيَت ؛ فقد أَرادَ جارُهُ أَنْ يَسْقِىَ أَرضَهُ ،

فنامَ ، فانْفَجَرَ الماءُ من أَرضِهِ ، فَسَقَى زِراعَةَ جارِهِ حامِدٍ ، ثم ذهَبَ إلى بيتِهِ ، فوجَدَ حِمارَهُ فى الإصطبلِ ، وَرَأَى زَوْجَتَهُ تخبِزُ الْخُبزَ . فَسَأَلَها : ماذَا حَدَثَ ؟

فأجابَتْ زَوْجَتُهُ : لقد سمِعتُ قَرعَ البابِ ، فخرَجْتُ ، فوجدتُ الحمارَ بِالبابِ ، ففتحتُ البابَ ، فَدَخَلَ الحمارُ الدار. وقد كان لجارِنا دَقيقٌ فى الطَّاحون ، فذهَبَ لِيَأْتِيَ بهِ ، فَأَخطأَ وحَمَل دَقيقَنَا ، وأَخذَهُ إلى بيتِهِ ، فَعَرَفهُ ، فأَحضرَهُ لنا بنَفْسِهِ .

فرفعَ حامدٌ رأْسَهُ إلى السماءِ ، وقالَ : الحَمدُ والشُّكْرُ لَكَ يا رَبِّ ، فقد قضيتُ لكَ حاجَةً ، فقضَيتَ لى ثَلاثَ حَاجاتٍ .

القِصَّةُ السَّادِسَةُ

مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثالِها

حُكِيَ أَنَّ سيدَنا عَلِيًّا ـ كرَّمَ اللهُ وَجهَهُ ـ مكثَ هو وَزَوجُهُ السيدةُ فاطمةُ ـ رضىَ الله عَنها ـ وَأَولادُهما : الحَسَنُ وَالحُسَينُ وَالحارِثُ ثلاثَةَ أَيامٍ لم يَذوقوا فيها طعاماً . وَكانَ لِلسَّيِّدَةِ فاطمةَ إِزارٌ (شالٌ) فأَعطَتْهُ عَلِيًّا لِيَبيعَهُ ، وَيَشتَرِيَ بثمَنِه طعاماً . فأَخذهُ سَيِّدُنا عَلِيٌّ ، وَباعهُ بستةِ دراهِمَ .

وَحينما كانَ عَلِيٌّ ذاهباً ليشتَرِيَ طعاماً قابلهُ بعضُ الفقراءِ ، فتألَّمَ لِحَالهم ، وَتصدَّقَ عليهم بالدَّراهِمِ السِّتَّةِ التى معهُ ، وَهىَ ثَمَنُ الإِزارِ (الشَّال) الذى باعَه. وَفى أَثناءِ ذَهابِهِ إِلى بيتِهِ لَقيَهُ جبريلُ عَلَيهِ السلامُ فى

صُورَةِ إِنسانٍ وَمَعَهُ ناقةٌ مِن الجَنةِ ، فقالَ لهُ : يا أَبا الحَسَنِ ، اِشتَرِ مِنى هٰذِهِ النَّاقةِ .

فقالَ لَهُ عَلِيٌّ : ليسَ مَعى ثَمَنُها ، وَلا يُمكنُنى شِراؤُها .

قالَ البائعُ : يُمكنُكَ أَن تَشتَرِيَها ، وَتَدفَعَ لِى ثَمَنَها فِيما بعدُ .

فَسَأَلَهُ عِلِيٌّ : بِكم تَبيعُها ؟

قالَ البائعُ : بِمائَةِ دِرهَمٍ .

فَرَضِيَ عَلِيٌّ ، وَقَبِلَ شِرَاءَها مِنهُ بِذٰلكَ الثَّمنِ المُؤَجَّلِ ، وَأَخَذَهَا ، وَذهَب .

فَقابلهُ مِيكائيلُ عَلَى صُورَةِ رجل أَعرابِىٍّ ، وَسَأَلَهُ : هَل تَبيعُ هٰذِهِ الناقَةَ يا أَبا الحُسَينِ ؟

قالَ عَلِى : نعم ، أَبيعها .

قالَ : بِكَم اشتَرَيْتَها ؟

أَجابَ عَلِيٌّ : اِشتَرَيتُها بِمِائَةِ دِرهَمٍ .

قال مِيكائيلُ : أَنا أَقبلَ شِرَاءَها مِنكَ بِمِائَةٍ وَسِتِّينَ دِرهَماً ، فيكونُ رِبحُكَ سِتِّينَ دِرهَماً .

فبَاعَها عَلِيٌّ لهُ بذلكَ الثَّمنِ ، وَدَفَعَ له المشترَى مِائَةً وَسِتِّينَ دِرْهَماً .

فَأَخَذَها عَلِيٌّ ، وَمَشَى إلى بيتِهِ ، فَلَقِيَهُ فى الطَّرِيقِ البائِعُ الأَوَّلُ وَهُو جِبرِيلُ ، فَسَأَلَهُ : هَل بِعتَ الناقَةَ يا أَبا الحَسَنِ ؟

أَجابَ عَلِيٌّ : نعم ، بِعتُها .

قالَ جبرِيلُ : أَعطِنى حَقِّى .

فدَفَعَ لهُ مِائَةَ دِرهَمٍ ، وَبَقِىَ مَعه سِتُّونَ دِرهَماً . فَذهَبَ بها إلى بيتِهِ ، وَوَضَعَها بينَ يَدَىِ السَّيِّدَةِ فاطِمَةَ رَضىَ اللهُ عَنها .

فَسَأَلَتْهُ : مِن أَينَ لكَ هٰذا المالُ !

أَجابَ عَلِيٌّ : تَصَدَّقتُ بِستةِ دَراهِمَ – وَهِىَ ثَمَنُ الْإِزارِ الذى أَعطيتِنى إياه لِبَيعِهِ – عَلَى قَومٍ فُقَرَاءَ ،

فَأَعطانى اللهُ سِتِّينَ دِرهماً ، فَكانَ رِبحُ كلِّ دِرهمٍ عَشَرَةَ دَراهِمَ . «مَن جاءَ بِالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمثالِها.»

ثمَّ قابلَ عَلِيٌّ الرَّسولَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ، وَأَخبَرَه بِالقِصَّةِ .

فَقالَ له الرَّسولُ الكَريمُ : يا عَلِيُّ ، الْبائعُ جبريل وَالمُشتَرى مِيكائيلُ ، وَالنَّاقَةُ مَركَبُ فاطمةَ يَومَ القِيامَةِ . ثمَّ قالَ لهُ : أُعطيتَ ثَلاثاً لم يُعطَها غَيرُكَ : لَكَ زَوجةٌ سَيِّدَةُ نِساءِ أَهلِ الجَنَّةِ ، وَلَكَ وَلَدانِ هُمَا سَيِّدا شَبابِ أَهل الجَنَّةِ ، وَلَكَ صِهرٌ هُوَ سَيدُ المُرسَلينَ. فَاشكُر الله تعالَى عَلَى ما أَعطاكَ ، وَاحمدْهُ فِيما أَولاكَ .

القِصَّة السَّابعَة

كلُّ ما يَفعَلُهُ اللهُ خَيرٌ

سَافرَ أَحدُ العُلماءِ الصَّالحين فى الزمنِ الماضى ، وَأَخَذَ مَعهُ دِيكاً يُوقِظُهُ فى الفَجْرِ لِلصَّلاةِ ، وكلباً يَحرسُهُ مِن اللُّصوصِ ، وَحِمارًا يَحملُ عَليهِ كتُبَهُ وَماءَهُ وَطعامَهُ . وَعِند غروبِ الشَّمسِ وَصَلَ إلى قريةٍ مِن القُرَى ، وَأَرادَ أَن يَقضِىَ لَيلتَهُ فى تلكَ القريةِ ، فلم يَقبلْه أَحدٌ ضيفاً عندهُ ، فترَكَ القريةَ ، وَمَكَث ليلتَهُ تحتَ شجرَةٍ خارجَ القريَةِ ، فى حقلٍ من الحقولِ .

وَفى أَثناءِ الليلِ أَتى الثَّعلبُ فَأَكَلَ الدِّيكَ ، فقالَ العالمُ الصالِحُ : كل ما يَفعلُهُ اللهُ خَيرٌ . وبعدَ قليل أَتى ذِئب ، فقتَلَ الكلبَ ، فَقالَ : كلُّ ما يَفعَلُهُ اللهُ خيرٌ ، ثمَّ أَتى ذِئبٌ آخرُ فَقَطَعَ رقَبةَ الحمارِ ،

فَقال : كلُّ ما يَفعلُهُ اللهُ خَيرٌ .

وفى الفَجر سَمِع العالِمُ الصَّالِحُ صِياحاً شديدًا فى القريةِ ، فَسَأَلَ عَمّا حَدَثَ ، وعلم أَنَّ اللُّصوصَ وَالأَعداءَ هاجَموا القريةَ تِلكَ اللَّيلَة ، وَسَرَقوامَواشِيَهَا ، ونَهَبوا أَموالَها ، وَقتَلوا كثيرينَ مِن رِجالِها .

فحمِدَ العالِمُ الصالِحُ اللهَ حمدًا كثيرًا ، وَعرَفَ أَنَّهُ لَو قُبِلَ ضيفاً فى القَريَةِ تِلكَ اللَّيلَةَ لحدَثَ لهُ ما حدَثَ لأَهلهَا . وَلو بقِى الدِّيكُ والكلبُ والحمارُ ، وسَمِعَ اللُّصوص صِياحَ الدِّيكِ ، وَنُباحَ الكلبِ ، وَنهيقَ الحمارِ لحضَروا إِلَيهِ خارجَ القَريَةِ وقتَلوهُ . وقالَ كَعادَتِهِ : كلُّ ما يَفعلُه اللهُ خيرٌ .

فهرس الكتاب

الموضوع			الصفحة
المقدمة	. . . . .	. . .	٣
القصة الأولى	: القلم الذهبي الجديد	. . .	٥
القصة الثانية	: الإحسان إلى الفقراء	. . .	٣١
القصة الثالثة	: الله لطيف بعباده	. . .	٣٦
القصة الرابعة	: في بيت رابعة العدوية	. . .	٣٩
القصة الخامسة	: إطاعة الله	. . . .	٤٠
القصة السادسة	: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها	. .	٤٢
القصة السابعة	: كل ما يفعله الله خير	. . . .	٤٦

رقم الإيداع	١٩٩٤/٨٠٩٠
الترقيم الدولي	ISBN 977-02-4682-4

٧/٩٤/١٥٨

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)